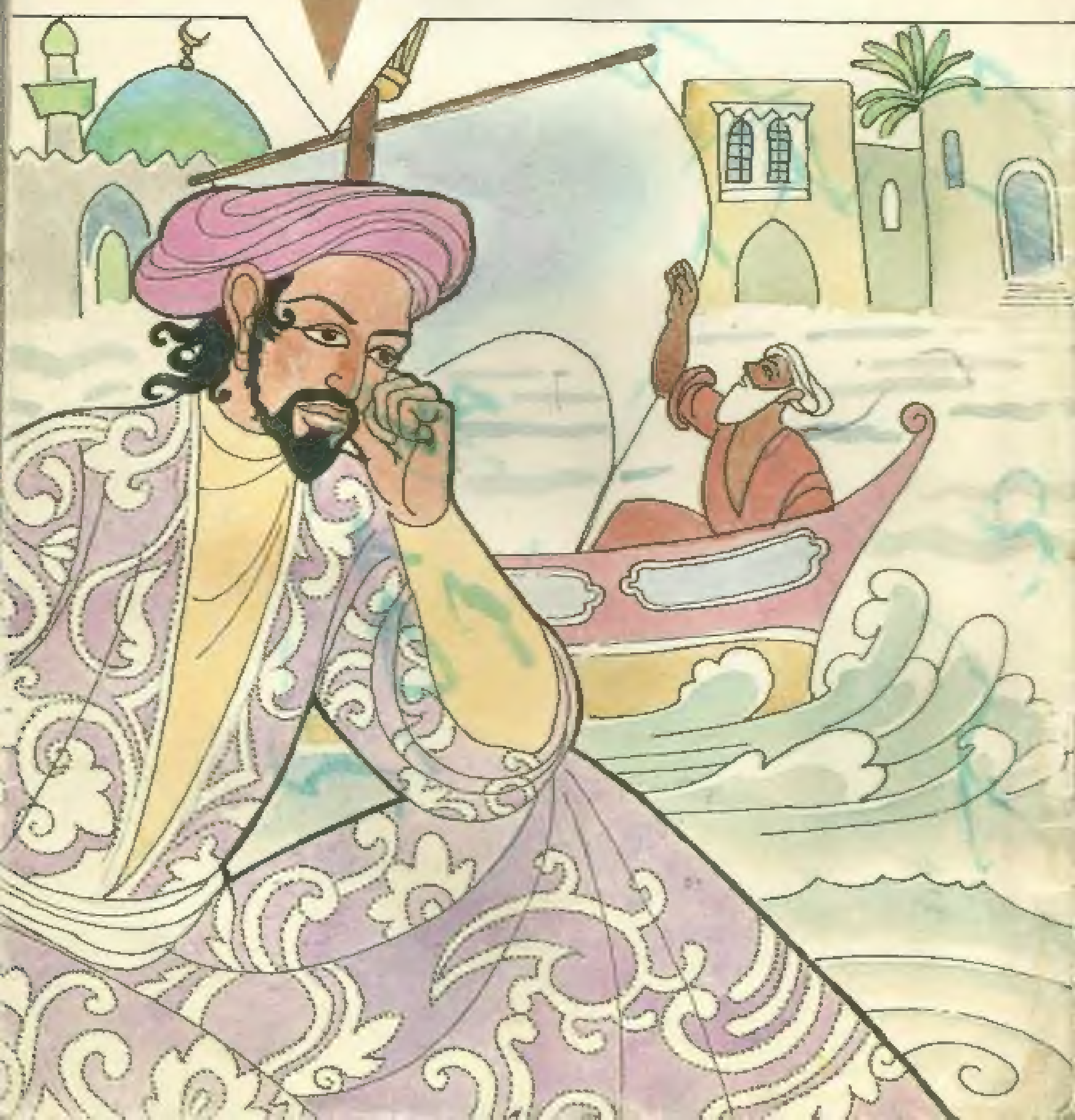
دائرة ثقافة الأطفال

زورق في دجلة

٤

حكايات شعبية

مكتبة الطفل . مكتبة الطفل . مكتبة الطفل . مكتبة الطفل . مكتبة الطفل



دائرة
ثقافة
الأطفال

الاسم: كرار حبيب عبد

الصف: السادس

الشعبة: ج

المدرسة: التحالف الابتدائية للبنين

المادة: قصة زورق في دجلة

التوقيع

زورق في دجلة

- مكتبة الطفل -
دائرة ثقافة الأطفال
وزارة الثقافة والاعلام
الجمهورية العراقية

حكايات شعبية

٤

زورق في دجلة

تأليف : فواز شعار

رسوم : اديب مكي

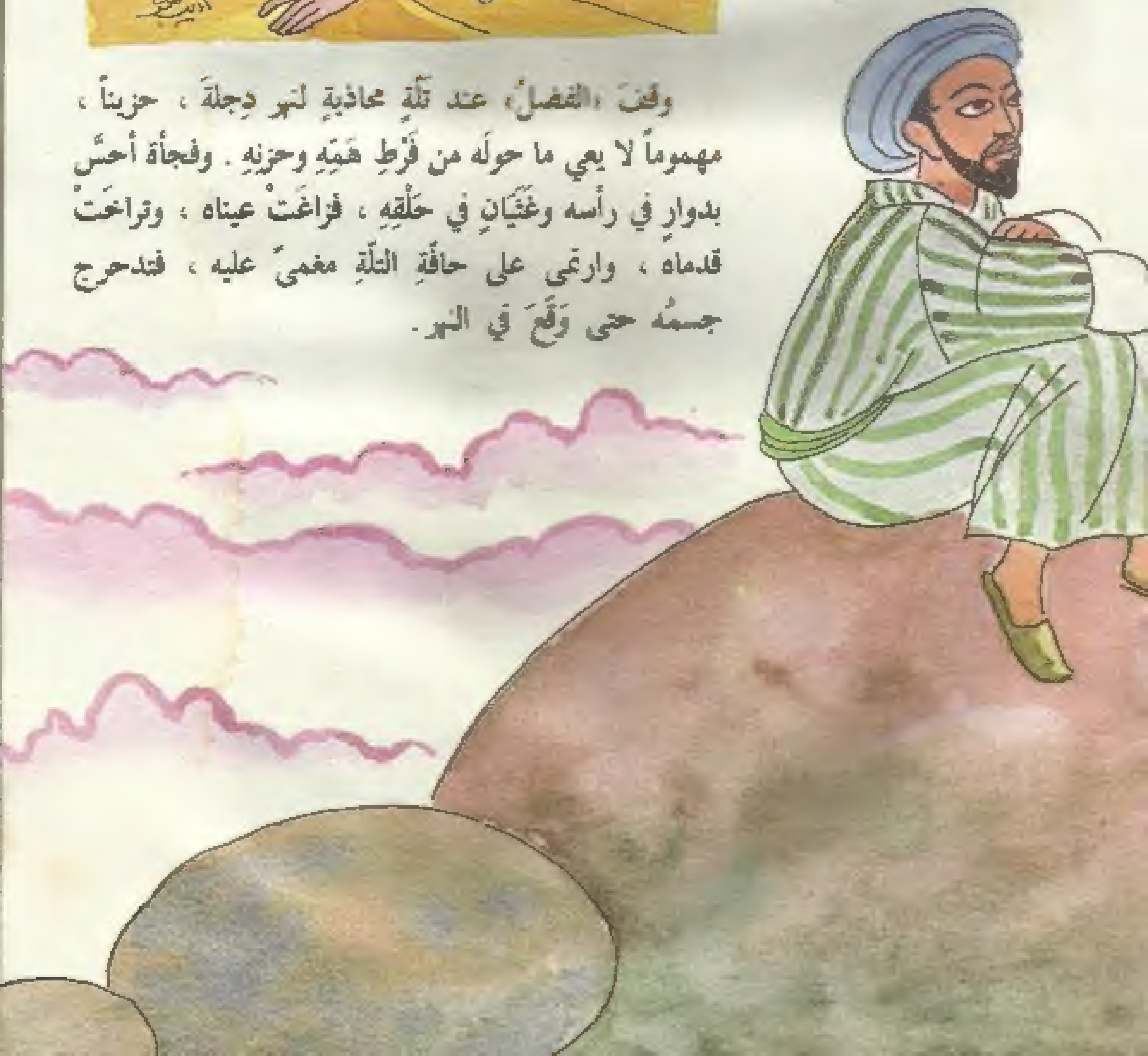
تصميم : خليل الواسطي

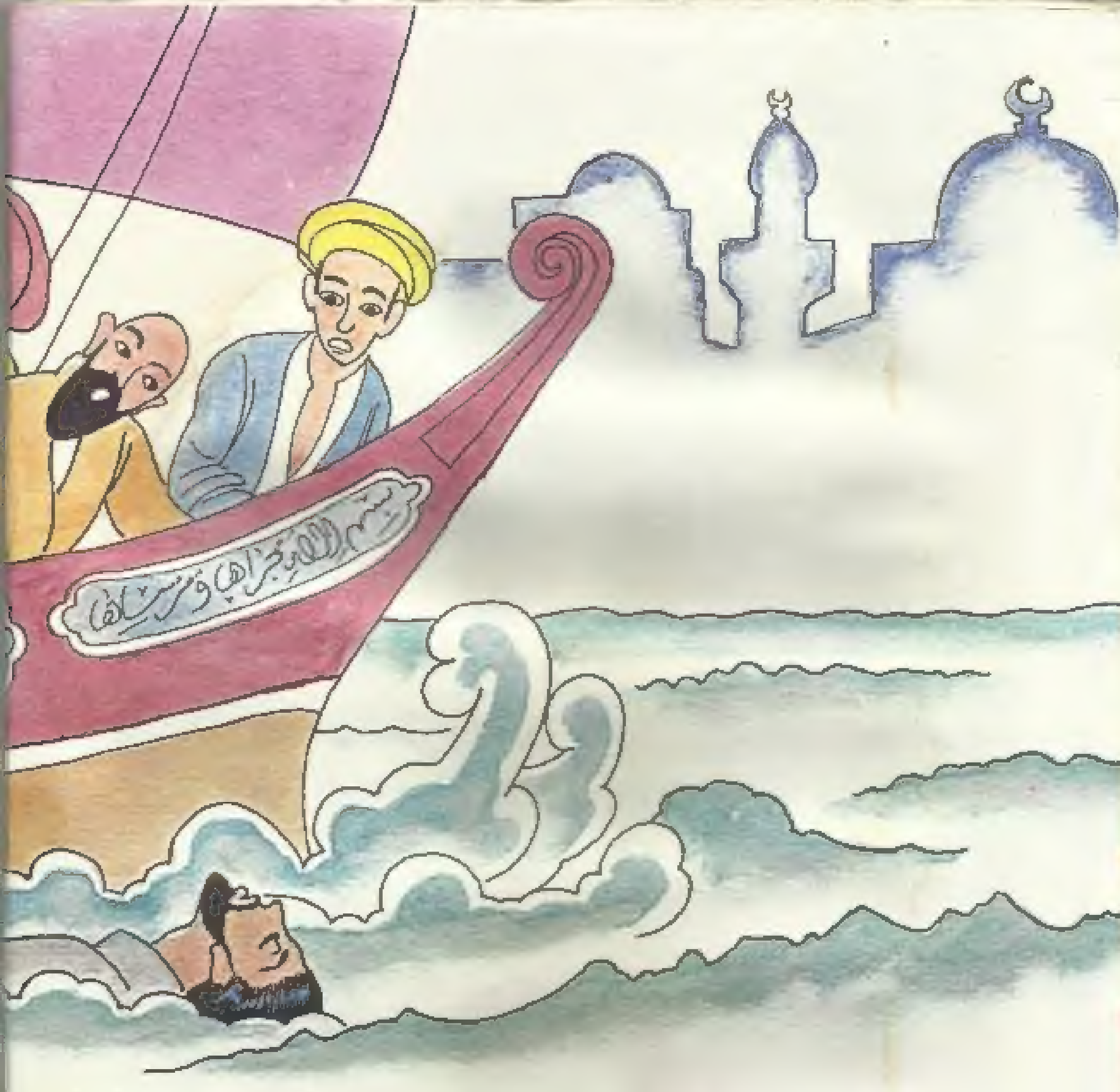






وقفَ «الفضل» عند تلّةٍ محاذيةٍ لنهر دِجلةَ ، حزيناً ، مهموماً لا يعي ما حولَه من فَرْطِ هَمِّهِ وحزنِهِ . وفجأةً أحسَّ بدوارٍ في رأسه وغثَيانٍ في حلْقِهِ ، فزاغَتْ عيناه ، وتراخَتْ قدماه ، وارتمى على حافَةِ التلّةِ مغمىً عليه ، فتدحرج جسمُه حتى وَقَعَ في النهر.





كان في عَرْضِ النهر ثُلّةٌ من البَحّارةِ ، يركبون زورقاً كبيراً ، يغنّون فيه ويهزجُون ، فَرِحينَ ببَدْءِ رِحلتِهم النهريةِ من بغدادَ إلى البصرةِ فرأى واحدٌ منهم «الفضلَ» وهو يقعُ في



النهرِ . فأخذ يصيح منبهاً رفاقَه إلى ما رأى .

حينئذ أمرَ ربّانُ الزورق بحارته أن يوجّهوا دفّةَ القيادةِ إلى حيثُ «الفضلُ» لينقذوه من الغرقِ .



انتشلَ البَحّارَةُ «الفضلَ» من النهرِ ، وهو فاقدُ الوعْيِ ، وقد امتلأَ جوفُه بالماءِ ، فعالجوه حيناً حتى أخرجوا الماءَ من بطنه . ولكنه ظلَّ فاقدَ الوعي ، يهذي بكلامٍ غيرِ مفهومٍ ، بينما كانَ الزورقُ مُطلِقاً أشرعتَه باتجاهِ البصرةِ .

أقبلَ الليلُ ، وأخذَ البحارةُ أماكنَهم حولَ الرّبّان يَسْمُرُونَ ، بينما كان «الفضلُ» راقداً على فراشٍ في زاويةِ الزورق . مُستغرِقاً في غيبوبته ، لا يدري من أمرِه شيئاً .

وعندما طَلَعَ الصباحُ ، أفاقَ الفضلُ وقد تَعافَى . فتعجَّب من وجودِهِ في مركبٍ نهري بعيداً عن مدينةِ بغدادَ ، ووجودِ هؤلاءِ البحارةِ الذين لا يعرفُهم .





عَرَفَ الفضلُ ما حدثَ له . وتمنّى أن يعودَ إلى بغدادَ بأيةِ وسيلةٍ . ولكنْ هيهاتَ ، فلم يَعُدْ من سبيلٍ إلى عودتِهِ وقد ابتعدَ به الزورقُ عن بغدادَ مسيرةَ يومٍ وليلةٍ . فسلَّمَ أمرَه إلى اللهِ . وانزوى كاسفَ البالِ محزوناً .



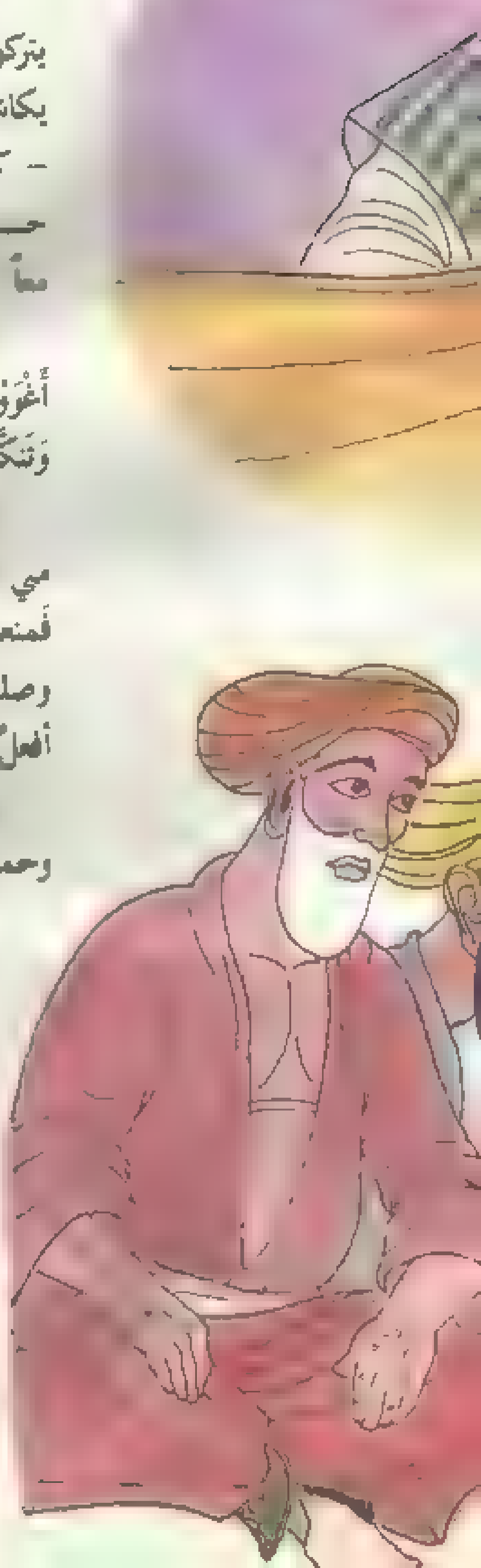
إلا أنّ البحّارةَ الطيبينَ، الذين أنقذوه من الغرق، لم يتركوه مع أحزانِه، بل طلبوا منه، وألحّوا عليه أن يكاشِفَهم بهمّه. فحكى لهم قصته وقال:

- كنتُ أعملُ صيرفيّاً في سوقِ بغدادَ، وكانت حالي حسنةً، ورزقي موفوراً، فتزوجتُ من فتاةٍ طيبةٍ، وعشنا معاً في سعادة.

استمرّت حياتنا راغدةً هنيئةً، إلا أنّ أصحابَ السوء، أغْوَوني وتدخّلوا في أعمالي، فنفِدَ مالي، وساءَتْ حالي، وتَنَكَّرَ لي الذين أعرفُهم في وقتِ شدتي.

وحَمَلَتْ زوجتي، فلما اقتربَ موعدُ ولادتِها، طلبتْ مني طعاماً يسدُّ جوعَها، فخرجتُ ألتمسُ ذلك عندَ البقالينَ فمنعوني لِكثرةِ ما عليَّ لهم من ديون، فمشيْتُ حيرانَ حتى وصلتُ تلك التلةَ عندَ دجلةَ، ووقفتُ عندها لا أدري ما أفعلُ.

وبعد ذلك وقعتُ في النهر، والتقطتموني أنتم، وحملتموني في هذا الزورق.



تمنّى البحارةُ الطيبونَ أن يعيدوا الفضلَ إلى بغداد، ليساعدَ زوجته ويقفَ معها في وقت شدّتها. ولكنْ لم يكن من سبيلٍ إلى ذلك، فالزورقُ الكبيرُ أوشكَ أن يصلَ البصرة



عمل القصص في البصرة أعمالاً مختلفةً، لأنه أدرك أن العملَ قَدَرٌ للإنسان، وأنّ الذي لا يعملْ لا يأكلْ. وما زالَ يتنقّلُ في الأعمالِ، حتى استقرَّ عندَ أحدِ التمّارينَ، وصار يشتغلُ في جنْيِ التمرِ وتعبئته في السّلالِ. ولبثَ على ذلك عدةَ سنواتٍ فتوفّر لديه مبلغٌ من المالِ، وعزم على العودة إلى بغداد.





اقتربَ الفضلُ من الحيِّ الذي فيه منزلُه ببغداد ، لعلّه يقفُ على خبرٍ عن زوجته التي تركها منذ زمنٍ بعيدٍ . فلما وصلَ ، رأى المنزلَ وقد تغيَّرتْ واجهتُه لما أُسْبِغَ عليها من تحسينٍ ، فالبابُ قد طُلِيَ بدهانٍ بديعِ اللونِ ، والجدارُ كُسِيَ بالجِصِّ الأبيضِ ، وأُقيمت على جانبَيْ البابِ دكّتانِ نظيفتانِ .



أيقن «الفضلُ» أن أناساً ذوي شأنٍ قد سكنوا البيت .
وأنَّ عليه أن يبحثَ في أحياء أخرى من بغداد عن زوجته ،
لعلّه يجدُها ويعوّضها عمّا لاقت من صنوف الحاجة
إلا أنه بدافعٍ من الفضول ، سألَ أحدَ المارّة
– بيتُ مَنْ هذا يا أخي ؟
فأجابه :
– هذا بيتُ «الفضل» الصرفي .

دهش «الفضلُ» وكادَ أنْ لا يُصدِّق

كيفَ يكونُ هذا البيتُ ما زالَ بيتَه ؟ اقتربَ من أحدِ الباعة العجوزين وسألَه . فأكَّدَ له أنّ هذا المنزلَ هو للفضلِ الصيرفيّ وعندما سأله أين هو «الفضل» ؟ أجابه .

- لا أحد يعرف





زادت حيرةُ «الفضل» وتساءلَ :

كيف يكون هذا المنزلُ البديعُ . له ؟

لقد ترك زوجته في هذا المنزل منذ سنواتٍ وهو مهدّمٌ . خالٍ من المتاعِ والأثاثِ . فمنْ فعلَ هذا في غيابه والمنزلُ ما يزال على اسمه ؟

وفجأة ، وصل موكبٌ وقورٌ . وإذا بمحملٍ حسنِ المنظر ، يَحفُّ به الحرّاس ، تركب فيه امرأةٌ ذاتُ ثيابٍ جميلة . وإلى جانبها طفلٌ في السادسةِ من عمره ، مضيءُ الوجه ، موفورُ العافية .

فلما ترجّلتِ المرأةُ ، دُهِش «الفضلُ» دهشةً عظيمةً . فقد كانت هذه المرأةُ هي زوجتُه . إذنْ ، لا شكَّ في أنَّ هذا الصبيَّ هو ابنُه .



ترقرقَتْ دمعتان في عَينَيْ «الفضل» لتأثّره مما رأى . وتذكَّر كيفَ تركَ هذه الروجةَ وهي في أقسى ساعات شدّتها . فقيرةً .   متألمةً . جائعةً . على وشكِ الولادةِ . ثم زادَ تأثُره لِمَا رأى عليها من نعمةٍ . وما أفاءَ عليها اللهُ من فضل واعزازٍ . وأسِفَ على ما كان من فقره وحاجته

وبينا هو كذلك غارِقٌ في هواجسه وأفكاره . إذا بحاجِبٍ من حُجّابِ المنزل يقول له :

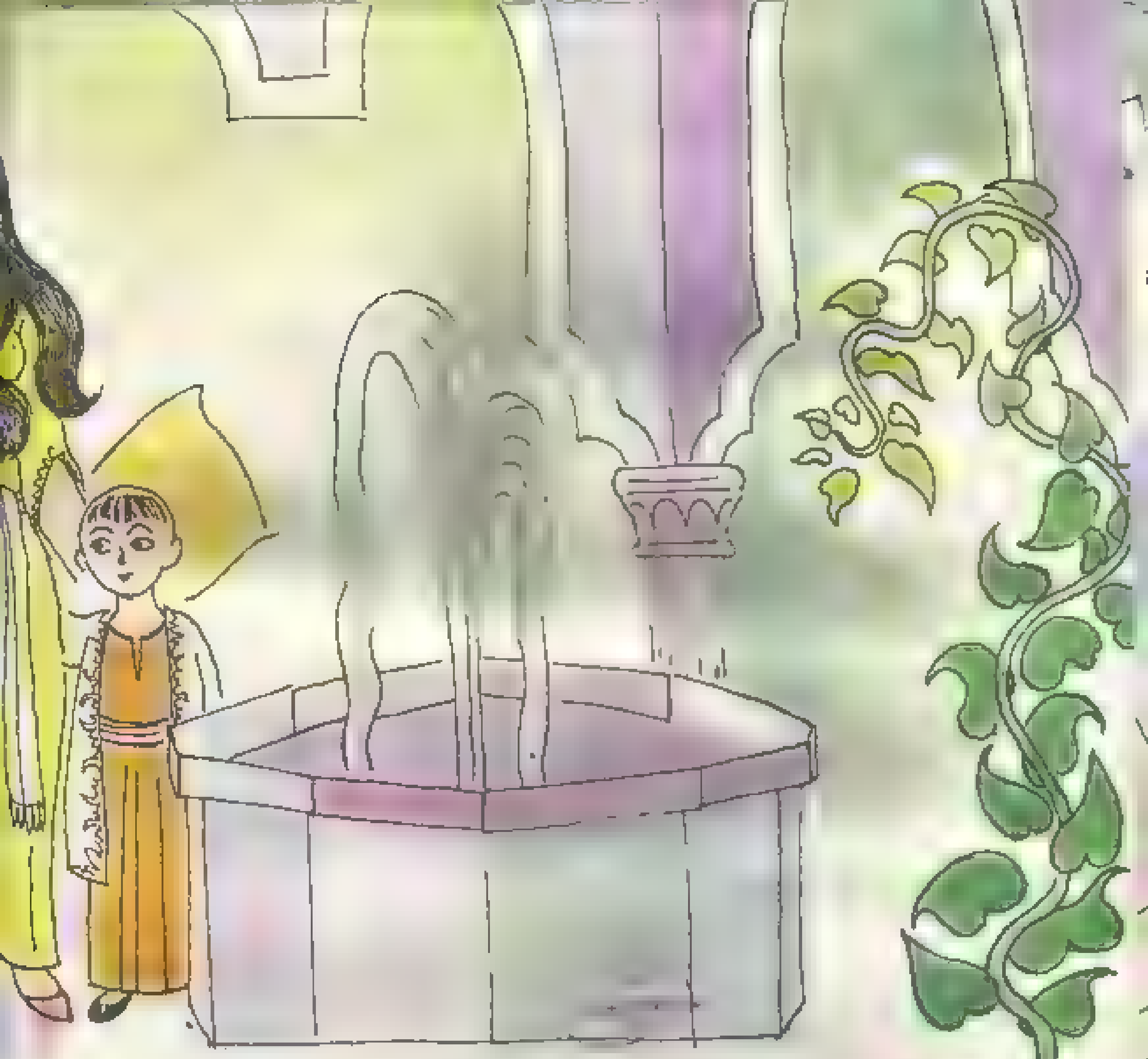
– سيدي الفضلُ . أحبّ سيدتي أمُّ الحرثِ

عَجِبَ «الفضلِ» من معرفةِ الحاجب اسمَه . ولكنَّ وجهَه سرعانَ ما تهلّلَ وكساه طيفٌ رقيقٌ من البهجةِ . لِعلْمِهِ أنّ اسمَ ولده هو «الحارث» فسأل الحاجبَ في خفةٍ :

– إذن فهذا الصبي الذي دخلَ المنزل مع أمه هو الحارثُ؟

وأجاب الحاجب :

– نعم يا سيدي «الفضل» انه ابنُك «الحارثُ» وقد لَمَحَتْكَ أمُّه في أثناءِ نزولها من المَحْملِ . فأمرتنا بدعوتك للدخول .



تردّدَ الفضل، قبل أن يخطوَ نحوَ منزله ، ولمّا دخله عَجِبَ مما فيه من تنسيقٍ ، وأثاثٍ جميلٍ ، فوقف مبهوتاً .

وبينما هو كذلك ، ظهرتْ زوجتُه «أمُّ الحارث» . وقد تهلَّلَ وجهُها بنورِ الفرحِ . ومدتْ ذراعيها مرحبّةً وهي تقول

– مرحباً «أبا الحارث» ، شرَّفْتَ دارَك ، وأسعدْتَ أهلَكَ .

وقبل أن يَرُدَّ الفضل على تحيةِ زوجتِه ، أقبل ابنُه الحارث ، فقالتْ زوجته :

– هذا ابنُك يا فضلُ

وفي حنانٍ أبويّ عظيمٍ ، انحنى الفضلُ يعانقُ ولدَه الحارثَ ، وقد امتلأتْ عيناهُ بدموعِ الرحمةِ والفرحِ .



جلس الزوجانِ الوفيّانِ ، «الفضلُ» و «أمُّ الحارثِ» في إيوانِ البيتِ وقد تهادَتْ فيه أنسامُ بغدادَ الليلية المنعشة ، حاملةً أريجَ الوردِ ، وعبيرَ الذكرياتِ البعيدةِ .

كان الفضلُ متلهّفاً لسَماعِ ما جرى لزوجته في أثناءِ غيابه الطويلِ ، وما سببُ هذا التغيير في حالها . وكانت هي كذلك تريد أن تحكيَ لزوجها كلَّ شيْءٍ

قالت الزوجةُ :

– عندما غادرْتَ البيتَ يا «فضل» منذ ستّ سنوات ، لتحضر لي الطعامَ أطبقتْ عليَّ آلامُ الولادةِ ، ولم أُطقْ صبراً واحتمالاً ، فخرجتْ مني صرخةٌ عالية استقرّتْ في سَمْعِ امرأةٍ عجوزٍ طيبةٍ كانت تستند إلى جدارِ بيتنا تستريحُ



أسرعَتْ إليَّ المرأةُ الطيبةُ . فلما وجدَتْ حالي وما أنا فيه من فقرٍ وألمٍ . تطوّعتْ لمساعدتي حتى وضعتُ ابنَنَا «الحارثَ» . وأخذتْ تعتني بي وبالطفلِ وتُحضِرُ لي كلَّ يومٍ ما تقدِرُ عليه من طعامٍ وحاجاتٍ .

وفي أحدِ الأيامِ جاءتِ المرأةُ . فوجدتني أبكي . فأدركتْ مقدارَ همّي ومبلغَ حاجتي . فقالت

– لا تحزني يا أختي . ولا تقنطي من رحمةِ اللهِ لقد سمعتُ هذا اليومَ خبراً يعنيكِ .

قلتُ لها :

– ما سمعتِ ؟

قالت :

– وَلَدَتْ زوجةُ الرشيدِ «مراجلُ» غلاماً اسمُه «عبدُ اللهِ المأمونُ» . ثم توفاها اللهُ . ولم يُقْبِلِ المأمونُ الرضيعُ على أيةِ مُرْضِعٍ أخرى فأمرَ الرشيدُ جنودَه أن يدعوا مَنْ تشاء من الوالداتِ إلى منزله . لعل ابنَه الرضيعَ يُقْبِلُ على ثَدْيِ واحدةٍ منهنَّ



ومضت زوجةُ «الفضلِ» تقولُ:
شَجَّعَتْني تلك المرأةُ الطيبةُ أن أجربَ حظّي مع ابنِ الخليفةِ المأمونِ. فذهبتُ إلى منزلِ الرشيدِ، وعرضتُ نفسي فَرَضَعَ منّي المأمونُ، وكان فرحُ الخليفةِ الرشيد بذلك فرحاً عظيماً، فأتاحَ لي فرصةً للعملِ والكسب. فرجعتُ لابِـ





ومضت زوجةُ «الفضل» تحكي لزوجِها ما جرى معها فقالتْ :

– ثم عِشْتُ في منزلِ الرشيد مدةَ الرِّضاعِ ، ولما كَبِرَ المأمونُ ، صرتُ أتردَّدُ عليه بين الحينِ والحين ، والرشيدُ ما يزال يسوقُ إليَّ الخيراتِ والأَنْعُمَ ، فأنا أمُّ المأمونِ بالرضاعِ . وولدُك الحارثُ أخٌ للمأمونِ بالرَّضاعِ ، فالحمدُ لله الذي أعانني وعوّضني خيراً ، بما هيأَ لي من فرصةٍ للعملِ الشريف .



أطرق «الفضل» متفكراً متأملاً ، فبادرته زوجتُه تقول :

– وأنتَ يا فضلُ ماذا فعلتَ ؟

قال الفضل :

– أما أنا ، فقد خرجتُ مِنْ عندِكِ حائراً ، لا أدري ماذا أفعلُ ، فلم يكُنْ لي عملٌ أكسبُ منه لأشتريَ لكِ طعاماً .

ثم حكى الفضلُ لزوجتِه ما جرى معه بعدَ وقوعِه في دجلةَ إلى أن قالَ :

– وجدتُ أنَّ خلاصي من هَمّي لا يكونُ إلا بالعملِ . فعملْتُ ، وأخلصْتُ في عملي ، وبلغْتُ ما أصبو اليه ، وأيقنْتُ أن العملَ شرفٌ للانسانِ وشرفٌ للحياة .



الهوامش :

---

(١) الغثيان الاحساس بالقيء

(٢) الزلال من أسماء الزوارق الشراعية القديمة

(٣) هيهات بعد (استبعاد حدوث الشيء)

(٤) رغد (بفتح الغين أو سكونها) صفة للحياة الطيبة الواسعة .

(٥) رَمّ أصلح ، وعمر ما كان متهدما منه

(٦) الوجل الخوف

(٧) ترجلت نزلت على الارض برجليها

(٨) أبهاء جمع بهو ، وهو الصالة

الجمهورية العراقية - وزارة الثقافة والاعلام - دائرة ثقافة الأطفال - مكتبة الطفل

الناشر : دائرة ثقافة الأطفال . . ص . ب ١٤١٧٦ بغداد

ثمن النسخة . ٥٠ فلساً عراقياً أو ما يعادلها